تقديم

يتقدم هذا الكتاب إلى قارئه بوصفه مدخلا إلى مقترب نقدي ثر ومتشعب وماتع الأعطاف، هو مدخل من حيث كونه يشتمل على وصف وتعريف، ومناقشة للّبِنات الأساسية في كتابات صاحبه سعيد يقطين، دون أن يكون بديلا عنها، مثلما هو وبالصفة ذاتها، تيسير لفهم أسباب التنوع والتعدد في موضوعاته، وآليات اشتغاله، ومراجعه النظرية، ومقاصده الفكرية والنقدية.

كان وازعنا في إعداد هذا الكتاب "عن السرد والسرديات في أعمال سعيد يقطين" الإيمان بجدواه الحاضرة والمستقبلية، في الاستجابة لبعض انتظارات درسنا النقدي العربي، واستثارته لأسئلة عصية على التبسيط أو الاختزال، وبحثه عن منافذ لمناهج هذا الخطاب، ومضامينه، وأهدافه، من واقع التكرار الفج، واجترار الإشكالات الزائفة غير المجدية، إلى أفق مفتوح على قضايا النقد والثقافة في بعدهما الكوني.

يتناول الكتاب عبر فصوله الثلاثة مساهمات سعيد يقطين في النقد الروائي، ودراسة التراث السردي، وجماليات النص التفاعلي والمترابط، وبذا فإن العمل الحالي يكتسي بعدا وصفيا وتقييميا في آن، قصاراه عرض المحصلات والخوض في جدل مع ما تقدمه من اجتهاد مفهومي، يصل المادة النقدية المحللة بامتدادها الثقافي، ويشج الوعي نظري الرافد لها بأسئلة النقد المعاصر، ومقولاته بصدد مفاهيم: "السرد" و"السرديات" و"النص" و"الخطاب"، و"الترابط" و"التفاعل" وغيرها... وبالشغف نفسه الذي يجعل من الخطاب النقدي حقلا لاستكشاف آليات النظر إلى أقانيم: "اللغة" و"التراث" و"الذات" و"الآخر"...

هكذا تراوح القراءات بين الدراسات الجامعة التي تنظر إلى منتوج سعيد يقطين في شموليته، وبالنظر إلى تكامل مكوناته، وأخرى تختص بأعمال مفردة، تتناولها بالنظر إلى جدتها في حقلها المعرفي ومدى ما تستثيره من أسئلة وإشكالات

في مجالها النقدي. وفي المحصلة تكاد الدراسات المضمنة في هذا الكتاب تتناول مجموع أعمال سعيد يقطين الممتدة من "تحليل الخطاب الروائي" إلى "قضايا الرواية العربية الجديدة" مرورا بباقي الأعمال، تضاف إليها شهادات شخصية لزملاء الباحث وأصدقائه وبعض تلامذته، تسلط الضوء على بعض سجاياه الثقافية والإنسانية.

ولعل ما يميز القراءات والشهادات في هذا الكتاب انتماؤها إلى أقطار عربية متنوعة، كما أن ما يبرر اختيارها، كونها نصوصا متساندة، بما يتضمنه معنى التساند من إحاطة بمجمل اجتهادات سعيد يقطين، وأسئلته وهمومه الفكرية والمنهجية، غير أن تساندها لا ينفي تباينها سواء من حيث المرجعيات أو في المحصلات والنتائج، وبالنظر إلى بنيات الوصف والتقييم على حد سواء.

وجدير بالذكر في هذا السياق أن الكتاب الحالي يتألف من مباحث أنجزت عبر مناسبات متباينة، وخلال مدى زمني طويل نسبيا، فبعض المقالات كتبت لهذا العمل خصيصا، وتتمثل أساسا في نصوص الشهادات المضمنة في الفصل الثاني، كما أن جزءا من دراسات الفصل الأول أنجز بمناسبة ندوة تكريمية لسعيد يقطين التأمت بمدينة شفشاون المغربية بتاريخ 31 يناير 2009، بينما أمدنا الأستاذ سعيد يقطين بمجموعة أخرى من الدراسات والحوارات، التي سبق لأصحابها أن نشروها في بعض الصحف والدوريات، أو شكلت جزءا من رسائل وأطاريح جامعية، وإذ نستأذن أصحابها في نشرها مجددا، نأمل أن نكون قد وضعناها في سياقها اللائق، بما يصون الغرض الذي كتبت من أجله، وييسرها مجددا للقراء والمهتمين بأعمال سعيد يقطين، بين دفتي كتاب جامع.

ونود أن نشير في ختام هذا التقديم إلى أن المتن المنتقى بين دفتي الكتاب الحالي، هو صيغة تمثيلية لما أنجز حول أعمال سعيد يقطين، لاتدعي - بأي حال من الأحوال- الإحاطة بكل ما أنجز في هذا الباب، حيث كان بين أيدينا في البداية عدد كبير من المقالات والبحوث، فكان من اللازم تنخيلها، فهي محاولة لتقريب الصورة في تقاسيمها الرئيسية، وليست مجرد عمل توثيقي، كما أننا حاولنا أن نحتفظ بتلك المقالات في صيغتها الأصلية، مع تصويب بعض ما بدا لنا خطأ غير مقصود، أو تعديل عدد من الصيغ بما يجعلها تتواءم والسياق الجديد، أو حذف

بعض المعلومات (التوثيقية) الواردة في أكثر من موضع، هي إذن صيغة تحريرية تتقصد أن تكون وفية -إلى أبعد حد- لهدفها الأصلي المتمثل في قراءة تحليلات: "السرد والسرديات في أعمال سعيد يقطين"، بعيون ثلة من أهم الباحثين والنقاد المغاربة والعرب.

ويبقى أن ننوه في النهاية، بأن إصدار هذا الكتاب، فضلا عن القيمة النقدية والأكاديمية، التي يمثلها، فإنه يسعى إلى توجيه تحية رمزية، لناقد أصيل، وكاتب طبع بجهوده المعرفية مرحلة ثقافية في المغرب والعالم العربي، وأستاذ خلد بأريحيته العلمية شيما ثقافية باتت نادرة اليوم، في ذاكرة أجيال من الطلبة والباحثين والنقاد، ومنهم محرر هذا الكتاب، فأبت إلا تبادله وفاء بوفاء.

د. شرف الدين ماجدولين

10 نونبر 2012